



إن تتابع الأحداث خلال العام الماضي وحتى الآن، يكشف شيئاً فشيئاً عن قضيائنا حقيقة، تتبدى معالمها يوماً بعد يوم. والجلي الواضح أن هذه الأحداث تتلون في تتابعها بألوان مختلفة، تُوجّه ساسة العالم وفق متغيراتها، وتتأرجح المواقف الدولية بشكل غريب على نغمة مجرياتها، وقد بدأت الأحداث في سوريا على أنها متابعة لمسار الربيع العربي، ثم بدت محدودة الأبعاد في داخل الحدود، ومحلية التحرك بين شعب ونظام، واجتذبت - على هذا الأساس - المؤيد والمعارض حسب هذا العمق في اهتزازها، وتجاذبها - في تأثيرها - دول الجوار، في مواقف حماسية، وتعليقات محلية، تمثلت في الزيارات والمشاورات وال العلاقات ومراسم الصداقات، وتتابع التأثير بهذا المفهوم، وضمن هذه الحدود.

فكان المواقف الأوروبية والغربية الأمريكية، والردود الروسية تدلي بدلوها تجاوباً أو تنديداً، وفق معايير الحدث الداخلي المحدود، كالذي جرى في تونس ومصر وليبيا في بدايات التحرك هنا وهناك.

وكنا نعيش تلكم الفترة بنشوة التأثير الفرنسي والألماني والبريطاني، من خلال مواقف وبيانات ولقاءات ومؤتمرات، أو نقفر طريراً لتصريحات الإخوة الأتراك وهو يسلّون على خصومنا السيف العثماني مهددين متوعدين، فتطير لزمجراتهم قلوبنا تيهأ وإنجذباً، أما الأقربون، فقد أجمعوا أمرهم، وحرکوا جامعتهم، ونفضوا عنها الغبار بمؤشرات متتالية، أفرزت عروضاً واقتراحات، ورفعت المستوى إلى إنذارات وتهديدات، وترى ثبت في التصرف إلى ما بعد إرسال مراقبين وبعثات، وأصدرت شيئاً مما يسمى عقوبات، وأعلنت أن الأمر قوبل بالعقوق والإعراض، وهذا يستلزم التأديب والفرق، والقطيعة ومنع الإمدادات والأرزاقي.

وقد (شاءت الأقدار) (1) أن تكون سوريا هي نقطة اللقاء، وساحة المبارزة لمعركة هذا الزمان، نعم لقد بدأت الأمور تظهر بوضوح، والأحرف تتشكل كلمات، والكلمات تظهر كعنوانين واضحه لكل من يقرأ المواقف والأحداث، وبدأ الماضي يفسر الحاضر، والحاضر يترجم تحالفات ما سلف من الأيام، وبدأنا ندرك لماذا أصرّ نظام الأب في سوريا على ترك العرب جميعاً لصالح العيون الكحلية بالسوداد في إيران، ولماذا شغل العراق بحرب أكلت الأخضر واليابس، ولكن جاءت التحذيرات من امتداد الخط الشيعي في بلاد العرب والمسلمين، وفي كل بقاع الأرض، فهي تبذل كل ما تملك كدولة وإمكانيات في تأسيس المراكز الظاهرة والمخفية، وتجذب إليها الطاقات من هنا وهناك، ونحن نتلمس الأعذار، ونلتطف بالاحتجاج، ونرد على المنتقدين بالتأويل والتبرير وتحسين الظنون.

ولكن وبعد مضي ما يقارب العام، بدأ يتبيّن لنا وللآخرين، ولكل مراقب مدقق، ومتأنّل ومحقق، بأنّ الحدث لا يُفسّر هكذا، وأنّ ما يحدث في سوريا ليس كما حدث هنا وهناك، فلقد شكلت الأحداث المتتالية صورةً أوضحت الأمور، وحدّدت للقضية أبعادها الحقيقية، وظهر بأنّ النّظام الوحشي في سوريا ليس نظاماً مقصوداً لذاته، بل هو الخازوق بين قوتين، وعلامة الصراع بين فريقين، ومن تجاوزه انتصر، ومن تخلّف عن العلامة انكسر، والقوتان المتبارزان اللتان بدأت معالمهما تظهر، وبوارق تجمّعهما تلمع، ورؤوس قيادتهما تبرز، هما قوّة الأطّماع الفارسية، تُخرج من تحت الرّماد نارها، وقوّة المؤمنين بمختلف طبقاتهم ودرجات صحوتهم وتباينات اضطاجعهم.

لقد رأينا كيف تواجد هؤلاء على سوريا وقاموا من خلال زمن طويّل بتحويلها إلى كعبة يحج إليها القوم بكل خرافاتهم، ويؤسسون في كلّ بقعة من البلاد مزارات، ويوثّقون مع الناس روابط، ويشترون العوائِم والمؤسّسات، ويحفلون الخنادق والأتفاق، ثم ينقلون إلى لبنان العوائِم السوداء، ويتخذون من خلالها معامل سياسية وعسكرية أذاقت الجوار اللبناني كل أنواع الخسف، وأمتدت لتكون معلولاً في البلاد بالتسليط والمؤامرات.

بعد عام من ثورة سوريا ظهرت سوريا وتبيّن ما هو المراد، وتوضّحت لكلّ الأكوان مآل الشّيطان في استماتته في الدفاع عن النّظام، وأدركت قوى الأرض أيّ معركة بدأت تدار في هذا البلد المبارك، وتبيّن للعالم بأنّ ما يحدث من خلال سوريا أمر تكشف عن ويل تاريخي عميق، إنّها معركة المجروس مع المسلمين في أخطر فصل من فصولها التاريخية، وتأكّد الجميع بأنّها ليست معركة إقليمية، ولا عربية إسرائيلية، ولا استبداد وديمقراطية، إنّهم أرادوها في سوريا أن تكون شيئاً مختلفاً، فانزوت على هذا الأساس تركيا، ولمّلت أوراق الجوار ومصالح الجوار، وببدأ ترتيب أوراقها على أمر جديّ، وكذلك فعلت أوروبا، فتوارى خطابها السابق، وببدأ تعيد النظر في موضوعها مع الحدث الداهم، أما أمريكا فقد أخذت بملمة تصريحاتها، فالواقع جديّ على سياستها وسياسات العالم، وتوفّر في المشرق روسيا والصين، وببدأ تشير إلى الغرب بإشارات وعبارات، وتتخذ مواقف أمام هذا التطلع الجديد.

العالم كله يتوقف أمام الحدث، لأنّه يأخذ أبعاداً تاريخية عميقة، وسيحدث تحولات لا يمكن أحد من فهم ملامحها أو تصور أبعادها، وشعر العرب بأنّ الزلزال له امتدادات، وأنّ المستقبل يتشكل على نحو جديّ، ومجلس الأمن والأمم المتحدة، تهتز على جدرانهما بوصلة النظام العالمي، وهنا نقول: إنّ ما يشعر به الشعب السوري هو استفادة أرادها الله - تعالى -، فهو بها معجزة الثبات أمام الأحداث، والتوكّل الصادق على الله أمام تردّدات النّصرة وتخاذل العالم، وأنّ ما يقع فيه العدو إنما هو سكرة الاندثار التاريخي، تسّوّقه إلى حتفه النهائي بغطرسة شوهاء، وترتّب مع روسيا الهوجاء، وأنّ النظام السوري الخازوق المنصوب بين الفريقين ستّدوسه أقدام هذا الشعب المؤمن الذي أسلم قلبه لله، ولم يستعن إلا بالله، ويعيّن العون إلا من الله، وسيكون الانتصار الحق على القوى الغاشمة، وسيشهد العالم قبل هذا تجمع العرب بشكل لا يدركون أبعاده من قبل، تجّمعاً يظهر هويتهم الحقيقية الإيمانية دفاعاً عن تاريخهم المجيد تكاففاً وتناصراً، يندفع إليها الجميع بعد ظهور دجل الدجالين وحقد الحاقدين على كلّ ما هو عربي إسلامي، أو إسلامي يمتد إلى العرب بصلة ما.

وإنّ ما أبرزه الأعداء في فضائياتهم - من شتم وسبّ وتحقير وتزوير لمعالم هدايتنا، قرآننا وسنة وصحابة وأمهات المؤمنين، وما صرّح به أتباعهم في لبنان، بأنّ لهم روابط طاعة وولاء مع أربابهم في إيران، أكثر من روابطهم مع بلدانهم وأوطانهم - لمؤشرات باهرات واضحات، لا تترك مجالاً لأصوات التهدئة بيننا وبينهم وترقب التواصيل والتّفاهم بين دولنا ودولهم، بحجة الملة الواحدة وإيجابية الاختلاف....

فلم يترك هؤلاء فرصة لذلك إلا وضيّعواها، شهد على هذا القاصي والداني، وإن آخر ما يخشى - أن يقع البعض في شباكه وخداعه - هو محاولة ابتلاعهم للقضية الفلسطينية عن طريق النّظاهر بنصرة المقاومة، ومدّيد العون لحركات المقاومة، نتيجة أخطائنا كعرب، وتخلينا المؤقت عن هذا الواجب، وضعف سياسات الحركات الفلسطينية التي يمكن اصطياد بعضها

ولكن إلى حين... وقد آن أوان هذا الحين -بإذن الله-، ولا يقولن أحد لما هذا التضخيم، وكيف يسجل الإنسان أحالمه ليقرأها الآخرون، ولكن إذا علمنا بأن تمزيق مُلك كسرى كان بسبب تمزيقه لكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن ما نسمعه من مكر الأكاسرة اليوم، وإيذائهم لبيت النبوة، وتمزيق الأعراض الإيمانية الطاهرة على ألسنة الأبالسة المجوسيين، سيكون سبباً في تمزيق ملتهم الجديد، وغطرستهم الجديدة.

وما تمرّكز الأحداث في حمص والخالدية وبابا عمرو، إلا إشارة واضحة، وحقيقة باهرة، بأن سيف الإسلام لازال مسلولاً، وأن - ضربَ الخالدِ في خاليته، وعمرو الصحابي في بايه - ليشارئ.. وبسائل لنصر قريب، وهزائم وبلايا لكسرى العصر الجديد.

الصحيح: شاء الله (نور سوريا)

المصادر: